التحديات الحضارية في آسيا ودور الإعلام الإسلامي في مواجهتها

(*) قدمت هذه الورقة البحثية في الملتقى الإسلامي الأول لدول آسيا بعاصمة سيرلانكا كولومبو والذي أقيم في الفترة من ٩ - ١٤١٤/٣/١١ هـ الموافق ٢٦ - ١٩٩٣/٨/٢٨ م برعاية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والمجلس الإسلامي العالمي بلندن.

تحتل وسائل الإعلام مكانة بارزة بين وسائل التأثير والتوجيه في مجتمعاتنا المعاصرة. وللإعلام علاقة وثيقة بالجوانب الحضارية للمجتمعات فهو أداة مؤثرة في بناء تلك الجوانب وتنميتها من جهة، كما أنه ـ في الوقت نفسه ـ وسيلة خطيرة من وسائل هدم تلك الجوانب والتأثير السلبي فيها. ومن هنا تنبع أهمية الإعلام ويتعاظم دوره. ومن هنا أيضاً تولي الأممُ الحية والقوية الإعلام عنايتها الفائقة وتعمل على استثمارها وتوظيفها في بناء مجتمعاتها والمحافظة عليها من التأثيرات الخارجية، كما تسعى إلى استغلالها وتوجيهها لخدمة أغراضها في التأثير على المجتمعات الأخرى.

وتعترض المسلمين في القارة الآسيوية تحديات حضارية عديدة في أيامنا هذه نظراً للأهمية الاستراتيجية للتجمعات الإسلامية داخل هذه القارة. ولا بد للمسلمين في آسيا أن يواجهوا هذه التحديات ويعملوا بجد واجتهاد على تجاوزها إذا أرادوا تحسين واقعهم الحالي وتأمين مستقبلهم القادم. وتهدف هذه الورقة إلى استكشاف دور الإعلام الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية في آسيا وذلك من خلال ثلاثة محاور أساسية أولها: بيان الأهمية الاستراتيجية للقارة الآسيوية في الصراع الدولي وموقع

المسلمين في هذا الصراع. ويحدد المحور الثاني جملة من التحديات الحضارية التي يواجهها المسلمون في آسيا: عقيدياً وسياسياً وثقافياً. أما المحور الثالث والأخير فيتناول دور الإعلام الإسلامي في مواجهة هذه التحديات.

الأهمية الاستراتيجية لآسيا

تعد قارة آسيا أهم قارات العالم الخمس بما تمثله من أهمية حيوية وكثافة سكانية وثروات طبيعية وتنوع بيئي وديني وثقافي. ويتوقع الخبراء الدوليون أن تحتل آسيا موقع الصدارة في الأهمية الاستراتيجية على الساحة السياسية الدولية عما قريب. وقد أشار إلى هذا التوقع الرئيس السابق للاتحاد السوفيتي «ميخائيل جورباتشوف» في كتابه «البروسترويكا» حينما قال: «إن الشرق، وعلى الأخص آسيا ومنطقة المحيط الهادي، يعتبر المكان الذي تسرع الحضارة فيه خطاها». ويرى «جورباتشوف» أن منطقة آسيا ستكون المجال الذي ستركز عليه السياسة العالمية في القرن القادم»[1] ويبني الخبراء الدوليون توقعهم هذا على ثلاثة أسس؛ أحدها ثقافي / حضاري، والآخر سياسي / عسكري، والثالث اقتصادي. فمن الناحية الثقافية والحضارية تشهد قارة آسيا حركة إحياء ديني وثقافي وحضاري متنامية، وهي حركة لا تتوافق بالضرورة مع قيم الحضارة الغربية الليبرالية وأسسها الدينية النصرانية. تقول «شيرين هنتر» ـ وهي أستاذة للعلوم السياسية ونائبة مدير مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن ـ «إن أغلب الدول الآسيوية، وبعد تدهور الأيديولوجية الشيوعية بدلاً من أن تسارع في احتضان القيم الليبرالية الغربية بعامة

---

(١) انظر: محمد جلال كشك: المسلمون والروس يقررون مصير العالم، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٩٠ م) ص ٢٦.

نجدها تتطلع إلى قيمها وثقافتها محاولة إيجاد إجابات على مشكلات قديمة. نجد في الهند على سبيل المثال اهتماماً متزايداً بالهندوسية التي أتت بحركة سياسية متطرفة تريد تحويل الهند من دولة علمانية إلى هندوسية قومية. ونجد في الصين تجدداً في الاهتمام بتعاليم «كونفوشيوس»، ونجد في الدول الإسلامية من أندونيسيا إلى ماليزيا إلى الشرق الأوسط اهتماماً بالإسلام بوصفه مصدراً للإجابة على جميع المشكلات»[1].

أما من الناحية السياسية والعسكرية فإن التحالفات التي كانت قائمة أيام الحرب الباردة إما أنها ـ بتعبير «هنتر» ـ تتغيّر أو تتفكك. وقد يتحول بعضها إلى عداء. فقد بردت العلاقة الوثيقة التي كانت تجمع بين الولايات المتحدة وباكستان في الوقت الذي تحسنت فيه العلاقة الأمريكية مع الهند. وتعاني العلاقة الأمريكية مع الصين من ضغوط وتوترات، ونجد أن النزاع الاقتصادي، يؤثر على أسس الصداقة الأمريكية - اليابانية[2]، وهناك عامل آخر يؤثر في مستقبل الأوضاع السياسية في آسيا وهو الوضع الغامض لروسيا وما يحدث فيها ولعلاقاتها مع الغرب ومع الصين واليابان وكذلك جاراتها المحيطة بها. وفي المجال العسكري تضم القارة الآسيوية عدة قوى نووية حقيقية ومحتملة. وتتسابق دول القارة في تسليح قواتها وستصبح هذه المنطقة أكثر منطقة مستوردة للسلاح في نهاية هذا القرن، فقد ذهب ٣٥٪ من مبيعات الأسلحة في العام ١٩٩١ م إلى دول آسيا. ورفعت الصين إنفاقها على التسلح أكثر من ٥٠٪ في أقل من سنتين وزادت اليابان من إنفاقها العسكري في العام الماضي. ولا يقتصر

---

(١) شيرين هنتر «مستقبل آسيا السياسي»، جريدة الرياض ١٩٩٣/٧/١١ م.
(٢) المصدر السابق.

نشاط دول آسيا في مجال التسلح على الاستيراد بل تحول بعضها إلى دول منتجة ومصدرة له[1].

ويكمّل الصعود الاقتصادي المتنامي منظومة القوة الاستراتيجية الجديدة للقارة الآسيوية. وتشير الدلائل الإحصائية إلى أن قارة آسيا ستكون القوة الاقتصادية الأولى قريباً، فالصين سجلت أعلى معدلات في نموها الاقتصادي والنمور الآسيوية الست، وهي هونج كونج وكوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وماليزيا وتايلاند، حققت أفضل تماسك في وتيرة نموها في العالم. وتشير توقعات منظمة التعاون والتنمية الدولية إلى أن تسجل هذه الدول المزيد من النمو خلال هذا العام والعام القادم[2].

وقد تجعل القوة الاقتصادية المتزايدة لما يسمى بـ «المنطقة الباسيفيكية» الآسيوية منها بحلول عام ٢٠١٠ م منتجاً لثلث قيمة الإنتاج العالمي، ونصفه بحلول عام ٢٠٤٠ م وسوف يدفعها ذلك ـ كما قال رئيس تايوان «لي تنج هوي» ـ لتكون «المركز الاقتصادي للعالم»[3].

ويذكر دارسا المستقبليات الأمريكيان ومؤلفا كتاب «الاتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠». وهما «جون نيصبات» و«باتريشيا ابردين» مقولة قيلت في بداية هذا القرن تؤكد أن البحر الأبيض المتوسط كان محيط الماضي، والأطلنطي محيط الوقت الحاضر، أما الباسيفيكي فإنه محيط المستقبل. ولذلك يؤكد المؤلفان أن العوامل الاقتصادية تدفع الآن نحو التحول إلى ما أسمياه «حافة الباسيفيكي» في قارة آسيا، وبسرعة لم يسبق لها مثيل. ويعتقدان أن هذا التحول لن يكون مقتصراً على الجانب الاقتصادي، بل سيشمل أيضاً الجانب الثقافي إذ إن الأقطار الواقعة على

---

(١) انظر: جريدة «الحياة» (لندن)، ١٩٩٣/٤/٥ م.
(٢) انظر: جريدة «الشرق الأوسط» (لندن) ١٩٩٣/٧/٢ م.
(٣) انظر: جريدة «الإقتصادية» (جدة) ١٩٩٣/٧/٢٨ م.

«حافة الباسفيكي» تتكلم أكثر من ألف لغة وفيها أديان وتقاليد قديمة أكثر من أي جهة أخرى في العالم. ويتوقع المؤلفان أنه بالرغم من أن اليابان هي القائد الاقتصادي اليوم إلا أن إقليم شرقي آسيا ـ الصين والنمور الأربعة (كوريا الجنوبية، تايوان، هونج كونج، سنغافوره) ـ ستهيمن في آخر الأمر[1].

ما موقع المسلمين في كل هذا؟.

إنهم في موقع مهم لاعتبارات عديدة، أولها كثافتهم السكانية ذات التنوع العرقي فليس من المبالغة في شيء أن نقول إن آسيا هي العمق الحقيقي والأكثر أهمية للعالم الإسلامي، ففي القارة الآسيوية يعيش أكثر من ثلثي أعداد المسلمين في العالم كله. وتتكون الكتلة الإسلامية الآسيوية من خمس مجموعات كبرى هي:

- المجموعة الأولى هي المجموعة العربية وتشمل الجزيرة العربية والشام بأقسامها الأربعة: سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، والعراق.
- المجموعة الثانية هي إيران.
- المجموعة الثالثة هي المجموعة التركية المغولية وتشمل تركيا وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر.
- المجموعة الرابعة هي الهندية وتشمل كل مسلمي شبه القارة الهندية وجزيرة سيرلانكا وجزر المالديف.
- المجموعة الخامسة هي مجموعة جنوب وجنوب شرق آسيا وتشمل المسلمين في بورما وتايلاند وكوريا ولاوس وفيتنام وأندونيسيا وماليزيا والفلبين.

---

(١) انظر: «جون نيصبات» و«باتريشيا ابردين»: الإتجاهات الكبرى عام ٢٠٠٠، مراجعة: العجيلي المري (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩١ م)، ص ١٩٤.

وتتمتع المنطقة الإسلامية في قارة آسيا بأهمية جيوبوليتيكية، فموقعها المتوسط بين قارات ودول العالم له ميزته الاقتصادية والتجارية. كما أن هذا الموقع مكّن العالم الإسلامي من السيطرة على معظم الممرات المائية الاستراتيجية في العالم.

إن هذه المساحة الشاسعة تحتوي على مصادر وفيرة لتنمية الثروة الزراعية بالإضافة إلى احتوائها على موارد مائية كبيرة وثروات حيوانية ضخمة. وفي المنطقة الإسلامية الآسيوية أودع الله الجزء الأكبر من مصادر الطاقة في العالم. فالعالم العربي وحده يملك نصف احتياطي العالم من النفط. ويرى الخبراء أن النفط الذي تنتجه منطقة الشرق الأوسط ـ ومعظم دولها آسيوية ـ سيظل يسهم بنسبة ٧٢٪ من إجمالي النفط الذي يدخل في التجارة الدولية إلى سنوات عديدة قادمة[١].

التحديات الحضارية التي تواجهها آسيا

إنَّ القارة الآسيوية بعامة تواجه تحديات حضارية ضخمة ومتنوعة وتتجه أنظار كثير من القوى إلى تلك القارة التي أوضحنا أهميتها وموقعها الاستراتيجي والتغيرات الكثيرة التي تشهدها. ويهتم الغربيون كثيراً بما يحدث الآن في آسيا لاقتناعهم بأن ذلك يؤثر عليهم وقد يؤدي إلى اختلال النظام الدولي السائد اليوم والذي يقوم على أساس من الهيمنة الغربية على العالم. ولذلك يقترح الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» في كتابه «الفرصة السانحة» ـ أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية، مع حلفائها الأوربيين بتكوين ما أسماه بـ «الوطن المشترك عبر

---

(١) انظر: د. توفيق القصير: **على مشارف القرن الحادي والعشرين: رؤية استراتيجية للمتغيرات الدولية** (الرياض: مكتب الآفاق المتحدة، ١٩٩٣ م)، ص ٢١٨، ٢١٩، ٣٣٩، ٣٤٢.

المحيط الأطلنطي» وذلك لمواجهة القوى الجديدة التي بدأت تنمو في القارة الآسيوية. وركّز «نيكسون» خلال تحليله لتلك القوى الجديدة على منطقتين اثنتين هما: المثلث الباسيفيكي (الصين ـ اليابان ـ روسيا) والعالم الإسلامي (الذي تقع معظم دوله في القارة الآسيوية أيضاً) وفنّد «نيكسون» المقولة التي ظهرت في أمريكا بعد انهيار الشيوعية والتي تدعو إلى انسحاب أمريكا من العالم والانكفاء على الذات، ورأى أن الاستجابة لهذه الدعوة «الانعزالية» تعدّ خطأً استراتيجياً قاتلاً. وينادي قادة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحمّل مسؤولياتهم في إعادة صياغة العالم كله وجعله «عالماً أمريكياً» فيقول: «لأول مرة في التاريخ تبدو الفرصة سانحة لكي نجعل القرن القادم عامراً بالحرية والسلام والتقدم، ولا يوجد اليوم أية دولة خلاف أمريكا، تستطيع تحقيق كل ذلك. وقد حانت الآن الفرصة الصادقة لتحقيق ذلك، ويجب علينا أن ننتهز هذه الفرصة»[1].

ويعتقد الخبير السياسي الأمريكي «صموئيل هانتينغتون» ـ وهو أستاذ بجامعة هارفارد ـ أن الصراعات المستقبلية في العالم ستكون «صراعات ثقافية ـ حضارية» بدلاً من كونها صراعات سياسية ـ أيديولوجية ويحصر هذه الصراعات المتوقعة في منطقة آسيا ويقرر أن الصراع عما قريب بين الشعوب سيكون صراعاً حضارياً وثقافياً: صراع بين الغرب والإسلام، وصراع بين الإسلام والهندوس، وصراع بين الإسلام والحضارة السلافية الروسية الأرثوذكسية، وصراع بين الصين واليابان كحضارتين مختلفتين. هذه الصراعات ستكون بؤر التوتر في العالم في المستقبل. ويركز كثيراً على الصراع الغربي ـ الإسلامي إذ يؤكد أن الإسلام هو أكثر الأديان صرامة، ولا توجد الآن فوارق بين السياسة والدين. كما أن هناك شعوراً

(١) انظر كتاب: ريتشارد نيكسون: **الفرصة السانحة**، ترجمة أحمد صدقي مراد (القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٢ م).

عارماً في الأقطار الإسلامية بأن العالم الإسلامي سبق أن تعرض للهزيمة والاستغلال من قبل الغرب، في الوقت الذي بدأ هذا العالم الإسلامي يشهد الآن نهضة عارمة. وربما يكون الصراع بين الغرب والعالم الإسلامي على أشكال مختلفة. إلا أن هذا يجب أن لا يدفعنا ـ كما يرى ـ إلى الذهاب بعيداً للقول إن حرباً عالمية ستقع بين الغرب والعالم الإسلامي ويحدد «هانتينغتون» بعض بؤر التوتر فيشير إلى المواجهة التي تحدث الآن في يوغسلافيا السابقة وفي مناطق حدودية تفصل بين الشعوب الإسلامية والشعوب غير الإسلامية. وأخطر حدود التقسيم القائمة حالياً - في رأيه ـ هي المناطق الحدودية الفاصلة بين الشعوب المسيحية في أوربا والشعوب الإسلامية في آسيا والشرق. كما أن المناطق الحدودية الأخرى التي تفصل بين مسيحيي الجنوب في أفريقيا ومسلمي الشمال فيها ستكون أيضاً مناطق توترات ثقافية وحضارية خطيرة[1].

ويمكننا تناول التحديات الحضارية التي يواجهها المسلمون في القارة الآسيوية في ثلاثة أنواع من هذه التحديات:

أولاً: التحديات العقيدية:

إن العقيدة الإسلامية التي يدين بها مسلمو القارة الآسيوية مستهدفة من قبل القوى المعادية للإسلام سواء في الغرب وعلى رأسها البعثات التنصيرية الموجهة، أو في القارة نفسها مثل الهندوس وغيرهم. وتهدف الحملات الشرسة المنظمة من قبل هذه القوى المعادية إلى تشكيك المسلمين بعقيدتهم وزعزعة الإيمان في نفوسهم من جهة، وإلى إحلال العقائد الأخرى في الفراغ الذي يحدثونه. وتتوافر لحركة التنصير العالمية

---

(١) انظر: أحمد الشيباني: تصادم الحضارات، في جريدة **الرياض**، ١٩٩٣/١١/٢١ م و١٩٩٣/١١/٢٨ م.

إمكانات هائلة لتحقيق أغراضها حيث يبلغ عدد المنظمات التنصيرية في العالم ما يقرب من ٢٥ ألف منظمة بالإضافة إلى أكثر من ٢٠ ألف منظمة تعمل في مجال الخدمات ويوجد في العالم حوالي ١٠٠ ألف معهد تنصيري. وبلغ عدد الكتب التي ألفت لأغراض التنصير ٢٢ ألف كتاب، ويصدر المنصّرون ٢٢٧٠ مجلة ونشرة تنصيرية، ويجري توظيف١٩٠٠ محطة إذاعة وتلفزيون لخدمة التنصير. وقد بلغت تبرعات الكنائس الدولية لخطط التنصير ١٥١ مليار دولار.

وتنتشر حركة التنصير في كثير من أنحاء القارة الآسيوية ونذكر هنا بعض النماذج للتمثيل لا للحصر:

- في الشرق الأوسط توجد منظمات تنصيرية عديدة ولها نشاط كبير وتتخفى معظم هذه المنظمات وراء مسميات إنسانية أو علمية أو اجتماعية. فهناك مثلاً ـ كما يذكر د. عبد الودود شلبي ـ ١٣٠٠ منصر متفرغ بالشرق الأوسط ومعظمهم يديرون مراكز طبية. كما توجد مؤسسات ثقافية تعرض الكتب التنصيرية بأبخس الأثمان. ومن المؤسسات التي تسهم في التنصير كثير من النوادي الاجتماعية المشبوهة مثل «الروتاري» و«الليونز» التي يوجد منها ٤٦ نادياً في الوطن العربي. وقد كشف النقاب مؤخراً عن وثائق تؤكد تمكن بعض المنظمات التنصيرية من اختراق الجامعات عن طريق المبعوثين بالخارج ومن أمثلة هذه المنظمات التي تدعي أنها منظمات علمية «يونيفر سال لايف» و«نيوتك»[1].
- وفي جنوب شرق آسيا ينشط التنصير على نحو فعّال. ففي أندونيسيا مثلاً بدأ النشاط التنصيري منذ القرن الثامن عشر الميلادي أثناء

(١) أنظر: مجلة **الدعوة** (السعودية) بتاريخ ١٤١٣/٩/١٨ هـ.

الاستعمار الهولندي. ويوجد الآن في أندونسيا أكثر من ١٢ ألف كنيسة ومؤسسة تنصيرية يعمل بها أكثر من ٦ آلاف قسٍ وأكثر من عشرين ألف منصّر متفرغ ومتعاون. وهناك ١٢٠ منظمة أمريكية و٤٤ منظمة أوربية تقوم بالأعمال التنصيرية بدعم من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي. ويبلغ إنفاق هذه المنظمات في أندونسيا حوالي ١٠٠ مليون دولار سنوياً[١].

- وفي آسيا الوسطى تجد الحركة التنصيرية اليوم مجالاً جديداً لنشاطاتها بين مسلمي الجمهوريات الوليدة، حيث تركز المنظمات التنصيرية على إقامة بعض المشاريع الزراعية والصناعية التي تديرها بعثات أو هيئات إغاثية. كما تقوم بعض الهيئات الخيرية الكنسية بإنشاء العيادات المتنقلة وسط أبناء القرى في آسيا الوسطى. وتقوم بعض الكنائس الأرثوذكسية المنتشرة في آسيا الوسطى والتي تم بناؤها أثناء الحكم القيصري للبلاد بنشاط ديني بين شباب المسلمين من مظاهره تقديم منح دراسية لطلاب الجامعات للدراسة على كفالة الكنائس في أوربا وأمريكا. ويقوم أتباع الكنائس أيضاً بتوزيع نسخ الإنجيل بين المسلمين. ويقوم تلفزيون قازاقستان ـ كما يروي صحفي عربي ـ بنقل «قداس» الأحد من الكنيسة في موسكو أسبوعياً في الوقت الذي لا تذاع فيه صلاة الجمعة. كما أن القناة التجارية في تلفزيون قازاقستان تبث أفلاماً وبرامج قد تمس مبادئ الإسلام[٢].

ثانياً: التحديات السياسية:

تتمثل التحديات السياسية التي تواجه مسلمي آسيا في محاولات

---

(١) مجلة **الإصلاح** ١٢٥ / شوال ١٤٠٨ هـ.

(٢) انظر: مجلة **الإصلاح** (الإمارات) ١٧٥ في ١٩٩٢/٢/٢٠ م.

الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية التي يبذلها الغرب والكيان الصهيوني على نحو خاص. إن القوى السياسية المعادية للإسلام في الغرب تبذل جهوداً مضنية لتصوير الإسلام وصحوة أبنائه باعتباره «العدو القادم» للغرب بعد انهيار العدو السابق في الحرب الباردة وهو الإتحاد السوفيتي. يهدف الغرب من وراء ذلك إلى إيقاف النمو الإسلامي الذي يعدّه الغرب منافساً حضارياً قوياً يمكن أن يضر بمصالحه السياسية والاقتصادية ويقف عائقاً كبيراً باستمرار أمام هيمنته العسكرية والثقافية. تقول مجلة «شؤون دولية» التي يصدرها المعهد الملكي للشؤون الدولية بجامعة كامبردج البريطانية وهي تعلق على دراستين كتبهما «ادوارد مورتيمور» و «ارنست جيلنر» ويعكس هذا الطرح ـ في الدراستين ـ الفكر الغربي الذي يميلُ إلى جعل الحضارة المسيحية ـ واليهودية الغربية هي الحضارة المهيمنة، وجعل أفكارها مطلقة وليست مجرد ثقافة بين ثقافات عديدة يعجّ بها العالم. والإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه القوة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللاأدرية وفتور الهمة واللامبالاة، وهي آفات من شأنها أن تؤدي إلى هلاك المجتمعات مادياً؛ فضلاً عن هلاكها المعنوي[1]...

أما الكيان الصهيوني فهو يعمل جاداً على التغلغل في منطقة آسيا، وبخاصة في جنوب شرقيها وفي الجمهوريات الوليدة في وسطها إضافة إلى القوى الكبيرة التقليدية فيها كالصين والهند. وتذكر التقارير أن اليهود يقيمون علاقات وثيقة مع عدد من الدول في جنوب شرقي القارة من أهمها تايوان وتايلند وسنغافورة وسيرلانكا وهونج كونج والفلبين وبورما.

---

(١) انظر: د. محمد عمارة: **استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي** (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٢ م)، ص ١٥.

ففي تايلند - على سبيل المثال - حقق الكيان الصهيوني بمساعدة الوجود الأمريكي فيها موقعاً ممتازاً لدى الحكومات التايلندية المتعاقبة، كما استطاع بناء قاعدة من الشركات التجارية والمصرفية والزراعية وشركات التعمير والبناء في هذا البلد الآسيوي. وتفيد التقارير أن التعاون التجاري بين الكيان الصهيوني وتايلند زاد زيادة كبيرة وارتفعت الصادرات اليهودية إلى تايلند إرتفاعاً ملحوظاً ووصلت حوالي ٥٠٠٪[١].

[ويقوم الكيان الصهيوني الآن بتمتين علاقاته مع الهند وكشف السفير اليهودي في نيودلهي - في مقابلة صحفية نشرتها «صنداي تايمز» الهندية - أبعاد التعاون الصهيوني الهندي فقال: «إن أبرز ما تحقق بعد التبادل الدبلوماسي هو الزيارات العديدة التي قامت بها وفود سياسية وصناعية وزراعية وتقنية وعسكرية بين البلدين. والأكثر من ذلك أننا في مرحلة وضع اللمسات الأخيرة لعدد من الإتفاقيات بين الدولتين في مجالات الطيران المدني والتقنية الزراعية والصناعية. وقد ارتفعت نسبة التبادل التجاري بين البلدين في العام الماضي (١٩٩٢ م) فقط بنسبة ٣٠٪» ويسعى اليهود والهنود إلى التعاون فيما بينهم لمواجهة ما أسموه «خطر الأصولية الإسلامية» إذ يقول السفير اليهودي «إن قضية الإرهاب الأصولي تشكل تحدياً مشتركاً للهند و(إسرائيل) وعلينا أن نستأصل هذا الخطر من جذوره. ثم يضيف قائلاً: «إن الدول الإسلامية تواجه أكثر من غيرها الخطر الأصولي الإسلامي. إن هذا الخطر سوف يعود بهذه الدول إلى الوراء ٥٠٠ سنة أخرى.. لهذا فلا يمكن أن تقتصر مهمة القضاء على الأصولية الإسلامية على الهند و(إسرائيل) فقط»[٢].

أما التغلغل الصهيوني في جمهوريات آسيا الوسطى فقد مهدت له

---

(١) انظر: جريدة **المدينة المنورة** (السعودية) ١٩٩٣/٦/١٦ م.
(٢) انظر: مجلة **«كشمير المسلمة»** العدد ١٦ يونيو ١٩٩٣ م.

الولايات المتحدة الأمريكية ودعمته حيث يقول «ريتشارد آرميتاج» - وهو أحد كبار مساعدي وزير الخارجية والمسؤول عن تنسيق المساعدات في الإدارة الأمريكية - في اجتماع لإحدى لجان مجلس الشيوخ الأمريكي: «لقد بدأنا عملاً مع أصدقائنا الإسرائيليين لكي ينهضوا بدورهم في آسيا الوسطى. ونحن ندرك أنهم راغبون ومتحمسون، ثم إن لديهم الطاقات والخبرات التي تمكنهم من أداء ذلك الدور. وفضلاً عن ذلك فإن (لإسرائيل) وجوداً قائماً الآن في أوزبكستان وقازاقستان»[1].

ثالثاً: التحديات الثقافية:

وتكمل التحديات الثقافية منظومة التحديات الحضارية التي تواجه آسيا بعامة، والمسلمين فيها على وجه الخصوص. ويمكننا تحديد هذه التحديات في رغبة الغرب والمتأثرين به في نشر ثقافة «التغريب» و«العلمنة» والترويج لها وترسيخ أقدامها في القارة الآسيوية وبخاصة في المجتمعات المسلمة فيها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يسعى الغربيون وأتباعهم من المستغربين إلى محاربة الثقافة الإسلامية وكذلك الثقافات المحلية الأخرى لكي يوجدوا الفراغ الثقافي الذي يستوعب ثقافة التغريب و«العلمنة».

ومن هنا نجد الحرب الشرسة التي تقوم بها قوى خارجية ومحلية لتشويه صورة الإسلام وتخويف الشعوب الآسيوية مما يسمونه بـ «الخطر الإسلامي الأصولي» فهذا - مثلاً - «يفجيني بريماكوف» مبعوث الرئيس الروسي يقول معلقاً على انعقاد قمة موسكو بين رؤساء روسيا والجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى في شهر أغسطس الماضي:

---

(١) انظر: فهمي هويدي: «إسرائيل على أبواب آسيا الوسطى»، مجلة **المجلة** (لندن) ٦٥٥ بتاريخ ١٩٩٢/٨/٢٦ م.

«إنَّ على قمة موسكو وقف تسلل الأصولية الإسلامية والحفاظ على الاستقرار والسلام في آسيا الوسطى»[1]!.

وتتصارع عدة قوى على نشر نفوذها الثقافي في المنطقة الآسيوية ويظهر هذا جلياً في الجمهوريات الوليدة التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي المنحل. فروسيا ترغب في استمرار هيمنة الثقافة الروسية في هذه الجمهوريات. وقال «بريماكوف» أيضاً إن بلاده تريد من قمة زعماء آسيا الوسطى الموافقة على استخدام اللغة الروسية كلغة رسمية ثانية في طاجكستان. ويريد الغربيون الترويج لثقافة «التغريب والعلمنة» ولذلك فهم يفضلون النموذج التركي «العلماني» ويشجعون على تقديمه لشعوب آسيا الوسطى. وفي ذلك يقول «آرميتاج» أيضاً: «بالنسبة لجمهوريات وسط آسيا فمن المهم أن يتوافر لها نموذج تحتذيه بعد انهيار الشيوعية. ونحن نعتبر أن تركيا تمثل ذلك النموذج المنشود باعتبار أن النهج (العلماني) الذي تتبعه يوضح بجلاء أنه ليس هناك تناقض أساسي بين الإسلام والديمقراطية»[2].

ويسعى الكيان الصهيوني إلى إيصال نفوذه الثقافي إلى الجمهوريات الإسلامية بدعم أمريكي، حيث أقام اليهود جمعيات للصداقة بينهم وبين عدد من تلك الجمهوريات مثل قيرغيزيا. وأقيمت قبل سنتين مهرجانات للأفلام الإسرائيلية في عدة مدن في الجمهوريات. وقد قام عدد من الشخصيات الأذربيجانية بزيارات إلى الكيان الصهيوني من أمثال وزير الثقافة «بلبل أوغلي» والفنان «مسلم مجاميوف» والأستاذ الأكاديمي «ضياء بوفياتوف» وفي شهر فبراير ١٩٩٠ م أقر المؤتمر اليهودي العالمي تأسيس مركز ثقافي يهودي في مدينة بخارى بجمهورية أوزبكستان. وقد صرح

---

(١) وكالة الأنباء القطرية، نشرة ١٩٩٣/٨/٧ م.

(٢) فهمي هويدي = مرجع سابق.

رئيس المركز بأن المركز يخطط من أجل تأسيس متحف بُخَارىٰ للأصول اليهودية، وكذلك إنشاء مسرح يهودي لإحياء تراث الفلكلور اليهودي![1].

دور الإعلام الإسلامي

إنَّ التحديات الحضارية بأبعادها الثلاثة: العقيدية والسياسية والثقافية تتطلب مواجهة شاملة ومدروسة من قبل المسلمين في القارة الآسيوية. ولا بد أن تشترك في هذه المواجهة جميع الجهات والمؤسسات المعنية بالتحديات الحضارية، سواء على المستوى السياسي والاقتصادي، أو المستوى الثقافي والتعليمي، أو المستوى الديني والدعَوي. وبغير هذه النظرة الشمولية والتخطيط المتعدد الأبعاد لن تنجح المواجهة نظراً لتعدد التحديات وتنوعها ونظراً أيضاً لخطورتها وتغلغل جذورها في المجتمعات الآسيوية.

أما الإعلام ـ بوصفه قناة من قنوات التأثير والتوجيه ووسيلة من وسائل التثقيف وتكوين الرأي العام ـ فله دور أساسي وفاعل في مواجهة التحديات الحضارية. ويحتل الإعلام الإسلامي بخاصة مكانة مرموقة في هذه المواجهة. وقد أدرك كثيرون من أعداء الإسلام أهمية وسائل الإعلام في التأثير الحضاري فاتجهوا إلى استثماره وتوظيفه، لخدمة أغراضهم. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قيام المليونير اليهودي «روبرت مردوخ» ببناء امبراطورية إعلامية ضخمة تشمل نصف سكان الكرة الأرضية.

---

(١) انظر: عبد القادر طاش: **قدرنا أن نكون إسلاميين** (الرياض: دار عالم الكتب، ١٩٩٣ م)، ص ١٣.

وقد وقع «مردوخ» مؤخراً صفقة بقيمة ٣٥٠ مليون جنيه إسترليني مع رجل الأعمال «لي كاشينج» لشراء شركة «هاتشفيشن» لشبكات الأقمار الصناعية في آسيا لتنهض هذه الشركة بتشغيل نظام «ستار» التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية الذي يعدّ مجاله الأوسع في العالم، حيث يصل إلى ٣٨ بلداً آسيوياً تمتد من الخليج حتى أندونيسيا[١].

ويقوم العلمانيون الأتراك باستثمار إعلامي ضخم في منطقة آسيا الوسطى إذ قام التلفزيون التركي ببث قناة تلفزيونية موجهة إلى جمهوريات آسيا الوسطى تبث ٦٨ ساعة أسبوعياً (ما يقرب من ١٠ ساعات يومياً) من المنوعات والبرامج الثقافية والدينية والعلمية باللغة التركية. وقد كلفت هذه القناة الحكومة التركية ٢٠ مليون دولار[٢]. ولا شك أن هذا النفوذ الثقافي الذي يرسخه البث الإعلامي التركي لجمهوريات آسيا الوسطى يمهّد الأرضية الصالحة للنفوذ السياسي والاقتصادي الذي تطمح إليه تركيا التي تقدّم نفسها ـ بتشجيع غربي ـ كنموذج يحتذى للجمهوريات الوليدة.

أما دور الإعلام الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية في آسيا فيمكن النظر إليه من منظورين؛ أحدهما ما ينبغي أن يكون عليه ذلك الدور، والآخر ما هو واقع فعلاً. وإذا ما تناولنا الدور المنتظر من الإعلام الإسلامي فيمكننا أن نحدد نظرتنا إليه من خلال بعدين رئيسين هما: البعد البنائي والبعد الوقائي.

ونقصد بالبعد البنائي إسهام الإعلام الإسلامي في بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة والمجتمع المسلم بما يقدمه من مواد إعلامية متنوعة. ومن منطلق شمولية المفهوم الإسلامي للإعلام فإن على وسائل الإعلام

---

(١) انظر: جريدة **«الشرق الأوسط»** (لندن) بتاريخ ١٩٩٣/٨/٣ م.
(٢) انظر: مجلة **«المجلة»** (لندن) ٦٣٧ في ١٩٩٢/٤/٢٢ م.

الإسلامي ـ سواء كانت مكتوبة أو مسموعة أو مرئية ـ أن تلتزم في جميع ما تقدمه من مواد إعلامية بتوجيهات الإسلام وتعاليمه وأن تعمل في تعاون وتفاهم وانسجام لتحقيق أهداف المجتمع المسلم في كل جانب من جوانب الحياة. ونشير هنا إلى بعض المجالات التي يمكن أن يسهم الإعلام الإسلامي فيها لتحقيق أهداف البناء الإسلامي ومنها:

- الإسهام في بناء الإنسان المسلم عقيدياً وفكرياً وأخلاقياً وسلوكياً وذلك بترسيخ مبادئ العقيدة الصحيحة في نفسه وتأصيل التصورات الفكرية السليمة في عقله وتنمية نوازع الأخلاق الحسنة والتطبيقات العملية في سلوكه الخاص والعام.
- العمل الجاد من أجل إشاعة روح التآلف والتعاون والتكافل بين أفراد الجماعة في المجتمع المسلم حتى تتلاقى القلوب وتتعارف النفوس وتتحد المشاعر وتجتمع الكلمة بعيداً عن الفرقة والخصام والتفكك.
- السعي الفعال في سبيل دفع أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة نحو التنمية وبناء المجتمع المسلم على أسس سليمة سواء في المجالات السياسية والثقافية أو المجالات الصناعية والاقتصادية أو المجالات التقنية والفنية. وهذا يقتضي إبراز قيم العمل وتقدير قيمة الوقت وإشاعة روح الاعتماد على الذات ونبذ الكسل والخمول وانتظار العون من الآخرين والعيش تحت رحمة الأقوياء وبخاصة من أعداء الإسلام.
- العمل من أجل تعميق مشاعر الولاء للإسلام والاعتزاز بالهوية المميزة للأمة الإسلامية والرغبة الصادقة في الإرتفاع بمستوى الأمة من حال الهوان والذل والتخلف إلى مراقي العزة والتقدم بالقول والعمل والعاطفة والعقل.
- السعي في سبيل فهم الواقع المحلي والإقليمي والدولي فهماً حقيقياً يعتمد على التحليل الموضوعي الواعي لا الأهواء والعواطف والأماني

حتى يعرف الناس موقعهم في العالم ومقدار قوتهم ومكامن ضعفهم ويعرفوا كيف يمكن لهم أن يعالجوا مواطن القصور فيهم، وفي الوقت نفسه حتى يعرفوا مواقع غيرهم من الأمم فيتعاملوا معهم على أسس سليمة فلا يدخلوا في صراعات ومشكلات هم في غنى عنها.

وكل هذه المهمات البنائية المطلوبة في الإعلام الإسلامي إنما تتم عندما يعتمد الإعلام على الصدق في التوجه والدقة في الإخبار والموضوعية في النقل والإعتماد على المعلومات الصحيحة والوقائع الدقيقة. وبذلك يسهم الإعلام الإسلامي في بلورة رأي عام إسلامي مستنير بين أفراد المجتمع المسلم أولاً ثم بين المجتمعات المسلمة على مستوى الأمة كلها. ولا يمكن للإعلام الإسلامي أن ينهض بمهماته البنائية إلا عندما يتحقق التعاون والتكامل بينه وبين بقية مؤسسات المجتمع مثل أجهزة التربية والتعليم وقنوات التوجيه الديني والاجتماعي وغيرها. وينبغي أن لا نتوقع من الإعلام أن يعمل وحده وأن ننتظر منه النتائج الباهرة إذا لم تتعاون وتتكامل معه بقية مؤسسات المجتمع.

أما البعد الوقائي في الدور المنتظر للإعلام الإسلامي وهو يسعى حثيثاً إلى مواجهة التحديات الحضارية في آسيا فيمكن الإشارة إلى جوانب هذا البعد فيما يلي: --

- الدفاع عن الإسلام: عقيدة وحضارة وثقافة وواقعاً ورد كيد الأعداء عنه وتفنيد الشبهات التي تلصق به بغير وجه حق وذلك حتى ينهض الإعلام الإسلامي بواجبه في مواجهة الحملات المنكرة على الإسلام والمسلمين، وبخاصة في آسيا، والتي يهدف الأعداء من ورائها تشويه صورة الدين في نفوس أتباعه وتنفير غير المسلمين منه وتأجيج نوازع العداء ضده.

- كشف مخططات أعداء الإسلام وكارهي الدين من العلمانيين والمتغربين الذين يريدون إيقاف إقبال الناس على الإسلام والعودة إلى رحابه حتى يكون الناس في آسيا على وعي تام بهذه المخططات ويتخذوا الأهبة اللازمة لإفشالها والوقوف في وجهها.
- مناهضة الدعوات التخريبية في المجتمعات المسلمة في آسيا وبخاصة حملات التنصير وغزوات التغريب الثقافي ونشر الأفكار الهدامة المخالفة للإسلام كالبهائية والقاديانية والماسونية وغيرها. وكل هذه الحملات والغزوات تستخدم وسائل الإعلام لبلبلة عقول الناس وزعزعة عقائدهم.
- تبصير الناس وتوعيتهم بخطورة النزعات التي بدأت تنتشر في بعض المجتمعات المسلمة في آسيا وغيرها والتي تنسب نفسها إلى الإسلام وهو منها براء، كنزعات التطرف والغلو وتكفير المجتمعات والتصادم مع السلطات وتأجيج الصراعات واستخدام العنف والإرهاب. فمن واجب الإعلام الإسلامي أن يقوم بتبصير الناس بهذه النزعات وبيان خطورتها ومحاورة أصحابها لردّهم إلى الجادة الوسطية حتى لا يشوهوا صورة الإسلام ويسهموا في تأليب الناس عليه.

إنَّ الصورة المثلى لدور الإعلام الإسلامي في مواجهة التحديات الحضارية تتمثل في تكامل هذين البعدين الهامين وهما: البعد البنائي والبُعد الوقائي. ولا يمكن للإعلام الإسلامي أن يقوم بأداء رسالته وتحقيق دوره على الوجه المطلوب إلا إذا تهيأت له جملة من الأسباب والشروط الضرورية ومن أهمها:

١ ـ الاهتمام الرسمي والشعبي بالإعلام الإسلامي وذلك من خلال إتاحة الفرص له وتوفير الإمكانات والطاقات له وإنشاء المؤسسات الحكومية والأهلية التي تخدم أهدافه في مختلف الدول والمجتمعات

المسلمة في آسيا وذلك لأن المشروعات الإعلامية المطلوبة لمواجهة التحديات الحضارية تحتاج إلى دعم سياسي واجتماعي كبير مادياً ومعنوياً.

٢ - تشجيع رجال الأعمال المسلمين والمؤسسات المالية الإسلامية على الاستثمار الفعال في مجال الإعلام الإسلامي وبناء المؤسسات القادرة على المواجهة وتقديم البدائل الإسلامية المناسبة في المجالات الإعلامية المختلفة سواء بإنشاء الصحف والمجلات أو تأسيس المحطات الإذاعية والتلفزيونية أو المساهمة في المشروعات التي تخدم هذه المجالات.

٣ - بلورة استراتيجية إسلامية مشتركة للدول الآسيوية المسلمة والمؤسسات الإسلامية فيها تعتمد على تعميق دور الإعلام الإسلامي في بعديه البنائي والوقائي وتقوم على التعاون بين هذه الدول والمؤسسات وتبادل الخبرات والمواد الإعلامية الإسلامية إذ لا يمكن لدولة واحدة أو مؤسسة واحدة خوض غمار المواجهة للتحديات الحضارية بمفردها وتوجيهات الإسلام تدعونا دائماً إلى التعاون على البر والتقوى.

٤ - رسم سياسات إعلامية على المستويات المحلية والإقليمية تسعى نحو إيجاد مزيد من الاستقلالية الإعلامية وتقليل الاعتماد على المؤسسات الأجنبية - وبخاصة الغربية - مثل وكالات الأنباء ومحطات البث عبر الأقمار الصناعية وغيرها ومراقبة التدفق الإعلامي الأجنبي ومحاولة التصدي لسلبياته وفق خطط عملية مدروسة والسعي المتواصل نحو إيجاد البدائل الإعلامية الإسلامية التي تحل محل الإنتاج الأجنبي أو تتوازن معه على أقل تقدير.

٥ ـ إعادة النظر في المشروعات الإعلامية الإسلامية الموجودة على الساحة بهدف معرفة أسباب تخلّفها وعدم تمكنها من أداء دورها وتنشيط أعمالها وفق رؤى جديدة تتواءم مع متطلبات المواجهة الحضارية وتتلافى السلبيات السابقة. ومن أهم هذه المشروعات التي يمكن الإستفادة منها متى ما أعيد النظر فيها، وكالة الأنباء الإسلامية، ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية وغيرها.

٦ ـ الدعوة إلى تأسيس تجمع دولي للإعلام الإسلامي يضم جميع المتخصصين في هذا المجال بمختلف وسائله والمهتمين بشؤون الإعلام ودوره الحضاري. وتكون مهمة هذا التجمع وضع الأسس السليمة لانطلاقة الإعلام الإسلامي في المجتمعات المسلمة وبلورة صيغ عملية لمشروعات إعلامية ناجحة ومؤثرة لخدمة الأهداف العليا للأمة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

إنَّ حديثنا على الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإعلام الإسلامي، وطرحنا لبعض الشروط التي لا بد من توافرها ليؤدي هذا الإعلام دوره المطلوب محلياً وإقليمياً ودولياً، وإشارتنا الخاطفةَ إلى ضرورة إعادة النظر في المؤسسات الإعلامية الموجودة حالياً وتنشيطِ أعمالها وفق منهج جديد، كل هذا يبين لنا بوضوح مدى الغياب الملحوظ للإعلام الإسلامي في واقعنا المعاصر على مستوى الأمة. وهذا يجعلنا نؤكد بإلحاح شديد على أهمية النظر الجاد الفعال والتحرك العملي السريع حتى نسدّ هذه الثغرة الكبيرة قبل فوات الأوان.